خيرٌ منْ عمر وآل عمر!!

عن ضبة بن محصن العنزي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في قصة ذكرها ، قال: فقال عمر: والله لليلةٌ من أبي بكر ويومٌ خيرٌ من عمر وآل عمر ، هل لك أن أحدّثك بليلته ويومه؟ قال: قلتُ: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: أما ليلته ، فلما خرج رسول الله ﷺ هارباً من أهل مكة خرج ليلاً فتبعه أبو بكر ، فجعل يمشي مرةً أمامه ، ومرّةً خلفه ، ومرةً عن يمينه ، ومرةً عن يساره!.

فقال له رسول الله ﷺ: «ما هذا يا أبا بكر، ما أعرف هذا من فعلِك؟».

قال: يا رسول الله ، أذكرُ الرّصد فأكون أمامك ، وأذكرُ الطلبَ فأكون خلفك ، ومرةً عن يمينك ومرةً عن يسارك ، لا آمن عليك.

قال: فمشىٰ رسول الله ﷺ ليلته علىٰ أطراف أصابعه ، حتىٰ حفيتْ رجلاه ، فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه أنها قد حفيتْ حمله علىٰ كاهله ، وجعل يشتدّ به حتىٰ أتىٰ به فم الغار ، فأنزله.

ثم قال: والذي بعثك بالحق لا تدخلُه حتىٰ أدخُله ، فإن كان فيه شيء نزل بي قبلَكَ ، فدخل فلم ير شيئاً ، فحمله فأدخله.

وكان في الغار خَرْقٌ فيه حيّاتٌ وأفاعٍ ، فخشي أبو بكر أن يخرج منهنّ شيءٌ يُؤذي رسول الله ﷺ ، فألقمه قدمهُ فجعلن يضربنه ويلسعنَهُ، الحيّات والأفاعي ، وجعلت دموعه تنحدرُ ، ورسول الله ﷺ يقول له: «يا أبا بكر! لا تحزن إن الله معنا» فأنزل الله سكينته الاطمئنانية لأبي بكر ، فهذه ليلته.

وأما يومه: فلما توفي رسول الله ﷺ وارتدّت العرب، فقال بعضهم: نصلّي ولا

نزكّي ، وقال بعضهم: لا نصلّي ولا نزكّي ، فأتيتهُ ولا آلوه نُصحاً، فقلتُ: يا خليفة رسول الله ﷺ تألّف الناس وارفُق بهم.

فقال: جبّارٌ في الجاهلية خوّارٌ في الإسلام ، فبماذا أتألّفهم أبشعرٍ مفتعلٍ أو بشعرٍ مفترى؟ قُبض النبي ﷺ وارتفع الوحي ، فوالله لو منعوني عقالاً مما كانوا يُعطون رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه.

قال: فقاتلنا معه ، فكان والله رشيد الأمر ، فهذا يومه[1].

أجل يا أبا الزهراء يا أحمد:

لولا أن أبا بكر رضي الله عنه قد أيقن أنك روح الوجود ، فهل يفعل ما فعله في الهجرة وغيرها؟.

لقد كان يقدّم نفسه للتهلكة فداء أن يُنقذ الحبيب المصطفىٰ ﷺ:

أقسمتُ بالواحد الديَّان إنّ له ... من قلبه نسبةً مبرورةَ القسَمِ
وما حوىٰ الغار من خيرٍ ومن كرمٍ ... وكل طرفٍ من الكفّار عنه عمي
فالصّدق في الغار والصدّيق لم يَرما ... وهم يقولون ما بالغار من أرمِ
ظنّوا الحمام وظنّوا العنكبوت على ... خير البريّة لم تنْسُج ولم تحُمِ
وقاية الله أغنتْ عن مضاعفةٍ ... من الدّروع وعن عالٍ من الأطمِ

فسلام الله وصلواته عليك يا روح الوجود يا محمد ، ونسأل الله تعالىٰ أن يحشرنا يوم الدين في ظلال شفاعتك ، وأن نشرب من حوضك.. آمين.

* * *

(١) دلائل النبوة ، البيهقي: ٢/ ٤٧٧.